

جودة الحياة الأسرية: بين جدلية الأصالة ومسايرة المعاصرة وأثرها على تربية الأبناء
**Family quality of life: between the dialectic of originality
 and keeping pace with contemporary times and their
 impact on raising children**

أ. د مختار رحاب¹. د هارون نورة²

1_ جامعة محمد بوضياف المسيلة mokhtar.rahab@univ-msila.dz

2- جامعة محمد بوضياف المسيلة harounnora16@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019-06-28 تاريخ القبول: 2019-07-29 تاريخ النشر: 2019 /12/31

الملخص:

تشهد الأسرة الجزائرية اليوم تحولات عميقة نتيجة التغيرات التي أفرزتها الحياة المعاصرة على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية... إلا أن حدوث هذه التحولات جرت معها العديد من المشاكل كالتفكك الأسري، تعدد نماذج التنشئة الاجتماعية، وبروز أنماط سلوكية جديدة... وهذا ما جعل الأسرة أمام تحديات كبيرة في مواكبة هذه التحولات من أجل تحقيق جودة الحياة الأسرية والحفاظ على بنيتها والقيام بوظائفها على أحسن وجه، وذلك من خلال تمسكها بالموروث الثقافي وتناقله بين الأجيال وإحداث نوع من التوازن بين هذا الموروث الثقافي والمستجدات التي مست كل جوانب الحياة، وتفادي التعرض إلى المعايير والقيم الاجتماعية المتناقضة ؛ لكن تتدخل عدة أبعاد من أجل تحقيق هذا الهدف ومن بينها البعد الاجتماعي والديمقراطي الذي يشتمل على عدة مؤشرات من أهمها: التفاعل الأسري، العلاقات الاجتماعية، المكانة الاجتماعية، المشاركة الاجتماعية في مختلف المواقف الحياتية

* المؤلف المرسل: هارون نورة، harounnora16@gmail.com

التخطيط الأسري... وعليه نطرح التساؤل التالي: ما أثر البعد الاجتماعي على جودة الحياة الأسرية؟

كلمات مفتاحية: الأسرة، جودة الحياة، التماسك الأسري، العلاقات الأسرية، التكنولوجيا.

Summary: The Algerian family is witnessing profound transformations today as a result of the changes brought about by contemporary life on all political, social, conomic and cultural levels ... However, the occurrence of these transformations took place with many problems such as family disintegration, the multiplicity of models of social upbringing, and the emergence of new behavior patterns. This is what made the family facing great challenges in keeping pace with these transformations in order to achieve the quality of family life, maintain its structure and perform its functions in the best way, through its adherence to the cultural heritage and its transmission between generations, and creating a kind of balance between the cultural heritage and developments. That touched all aspects of life, and avoiding exposure to contradictory social norms and values, but several dimensions interfere in order to achieve this goal, including the social and demographic dimension, which includes several indicators, the most important of which are: family interaction, social relationships, social standing, participation Social affairs in various life situations, family planning ... So we ask the following question: What is the impact of the social dimension on the quality of family life?

Keywords: family, quality of life, family cohesion, family relations, technology

تعد الأسرة ظاهرة عالمية عرفت كل المجتمعات البشرية، واهتمت بها الأنظمة الاجتماعية وأكدها جميع الديانات السماوية بوصفها قاعدة بناء المجتمع ومؤسسة من أهم مؤسساته، والأساس الذي تبنى عليه الحياة الاجتماعية. وترتبط الأسرة ارتباطاً متكاملاً مع بقية المؤسسات والنظم الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي، إذ لا يمكن أن نتناول الأسرة بمعزلة عن علاقتها بمؤسسات المجتمع الأخرى التي تعمل معها وتتأثر بها. كما تكمن أهميتها في المجتمع بما تقوم به من وظائف اجتماعية متعددة بوصفها اللبنة الأولى في المجتمع، والأساس المتين الذي يستقيم عليه البناء الاجتماعي، بالإضافة إلى دورها في تنشئة الأبناء اجتماعياً وتربوياً ودينياً ونفسياً وأخلاقياً ووطنياً؛ والأسرة عموماً هي الخلية الأساسية لهيكل المجتمع وعلى صورة الأسرة تكون صورة المجتمع. وعليه فإن أي تغير يحدث في النظم الاجتماعية كالنظام الاقتصادي أو السياسي أو الديني أو التربوي أو الثقافي، فإنه يؤثر على الشكل العام والخاص للأسرة لأنها عبارة عن تمثيل لمجتمع مصغر لنظام المجتمع. وفي عالمنا اليوم ظهر ما يعرف بمصلح العولمة تبدلت فيه المفاهيم الإنسانية من التعاون والتراكم الحضاري الإنساني إلى الصراع، ومن التمازج إلى الإقصاء والانفراد، ومن احترام الآخر والحفاظ على خصوصيته وثوابته إلى العمل على تذويبه ودمجه في ثقافة الطرف الآخر الأقوى وهذا ما يضعنا أمام جدلية الكوني والخصوصي، ويمكن تجسيد ملامح هذه الجدلية خاصة على مستوى الأسرة فهذه الأخيرة تختلف من مجتمع إلى آخر بحسب الخصوصية الاجتماعية والثقافية لديه. فخصوصية المجتمع الجزائري ومراحل تطوره تختلف عن خصوصية المجتمعات الأخرى، والاختلاف هنا قد يرجع إلى البنية، المركز، الأدوار والعلاقات الأسرية بما فيها علاقة الزواج وقيمه. إن هذا الوضع أسس لجدلية خاصة في الأسرة الجزائرية قوامها مدى التمسك بالقيم الأصيلة ذات المرجعية الثقافية الأصيلة التي تشكلها عادات وتقاليد الأسرة التقليدية، أو مسايرة الواقع والقيم الحديثة العصرية التي تمثلها الأسرة العصرية.

فأين تكمن جودة الحياة الأسرية في خضم هذه الجدلية؟ وما أبعادها التي يمكن أن تقاس بها هذه الجودة؟ .

ومن هذا المنطلق حاولنا التركيز على بعض أبعاد الحياة الأسرية والمتمثلة في التماسك الأسري والعلاقات الأسرية البعد الاجتماعي للتطور التكنولوجي داخل الأسرة وأثرها على مستوى جودة الحياة الأسرية.

2- تحديد المصطلحات:

2-1- مفهوم الأسرة :

الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأساسية في أي مجتمع إنساني تقوم نتيجة زواج رجل وامرأة أو أكثر ،علي أساس الدخول في علاقات جنسية يقرها المجتمع والقانون والعادات ويقيمون في مسكن واحد ويعيشون معيشة اقتصادية واحدة ويحدث بينهم تفاعل وتعاون ويترتب علي ذلك حقوق وواجبات أعضاء هذه الوحدة الاجتماعية كـرعاية الأطفال الذين أتوا نتيجة هذه العلاقات أو رعاية الأطفال المتبنين. (حسين رشوان: 1993. ص 43)

كما تعد الأسرة هي مجموعة من الأفراد وتشكل بينهم تفاعلات تعمل على إعادة إنتاج هذا الكيان من خلال ثقافة خاصة بالأسرة تتمثل في القيم والمعايير والعادات والتقاليد، هذه الثقافة الخاصة هي التي تمنح كل أسرة القدرة أو عدم القدرة على التحكم في العوائق الداخلية من جهة والتي نعني بها الإشكالات التفاعلية الداخلية بين الأفراد والأعضاء المكونين لها ، ومواجهة المخاطر الخارجية من جهة أخرى التي تواجهها ككيان بمعنى المخاطر التي يواجهها احد أعضاء هذه الأسرة والتي تؤثر على تفاعلاتهم الداخلية ، هذه القدرة المتمثلة في التحكم في العوائق الداخلية ومواجهة المخاطر الخارجية هي التي تساعد الأسرة على الاستمرار والاستقرار وتحقيق نوع من جودة الحياة الأسرية . (بن عيسى مُجد المهدي وآخرون: 2013)

جودة الحياة الأسرية: بين جدلية الأصالة ومسايرة المعاصرة وأثرها على تربية الأبناء

وعليه الأسرة ككيان يتجاوز وجوده وجود الأفراد، فهم يتشاركون معا في انجازاتها وإخفاقاتها، بانتصاراتها وفشلها، بأفراحها وأتراحها، بشرفها وعارها...؛ فكل عمل مشرف يقوم به أي فرد من الأسرة يصبح شرف لجميع أفرادها، وكل عمل مشين يقوم به احدهم يصبح مشينا للجميع. ومن هنا إن الفرد في الأسرة يكون عضوا أكثر منه فردا مستقلا وان العلاقات ضمن الأسرة هي ببساطة علاقات أعضاء أو عضويات وادوار، بموجب هذه العضوية والتوحد في الهوية يصبح كل فرد في الأسرة مسؤولا ليس عن تصرفاته الشخصية فحسب بل عن تصرفات الأفراد الآخرين؛ كما يفترض في العلاقات بين أعضاء الأسرة أن تقوم على التعاون والمودة والتضحيات أو الالتزام التام الشامل وغير محدود في جميع المجالات دون تحفظ. هذا الالتزام الشامل غير مشروط هو الذي يمنح الأسرة هذا الشعور الراسخ بالاطمئنان والاستقرار العاطفي وعدم القلق تجاه الأزمات والمخاطر المحتملة، فالفرد بإمكانه الاعتماد دائما على أسرته ومهما كانت الظروف فهي لا تزال إلى حد ما تسد مختلف حاجات أفرادها بنفسها بما فيها الحاجات المادية والنفسية والترفيهية. (حليم بركات: 1998. ص 175. 176)

وعليه تعد الأسرة كتنظيم اجتماعي يتفاعل ويتعايش مع التنظيمات الاجتماعية الأخرى، وهذا ما يؤدي إلى عملية التأثير والتأثر، حيث إن هذه العلاقة تضبطها قيم وقواعد وأسس وتقاليد خاصة بكل مجتمع لتحقيق دوافعهم الاجتماعية وحاجاتهم الضرورية وأهدافهم المشتركة، حيث أن هذه العلاقات تتغير بتغير الزمان والمكان. فان مستوى جودة الحياة الأسرية له انعكاس كبير على المجتمع ككل، فهذه الخلية الأساسية وبجودة حياتها هي التي تنتج الفرد السليم والمتوازن في جميع جوانبه الشخصية والفعال داخل البناء الاجتماعي.

2-2- مفهوم الأسرة الجزائرية:

إن للأسرة الجزائرية شأنها شأن الأسرة العربية التقليدية من حيث المبدأ أسرة ممتدة يعود النسب إلى الأب والجد باعتبارهما القائد الروحي للجماعة الأسرية وينتظم فيها بانتظام حياة الأفراد وكل ما يسمى بالتراث الجماعي الذي تحافظ عليه بواسطة نظام الجماعة

يؤدي إلى تماسكها فالأب ينسب إليه الأولاد أما الأم يبقى انتماءؤها لأبيها(مصطفى بو تفتوش: 1984، ص 37) .

2-3- جودة الحياة:

لا يوجد اتفاق حول مفهوم واحد أو طريقة واحدة لقياس مفهوم جودة الحياة نظرا لاستخدامه في الكثير من العلوم المتعددة والمواقف المختلفة؛ فيمكن أن يشير إلى الصحة أو السعادة أو إلى تقدير الذات أو الصحة النفسية والرضا عن الحياة. وكذلك يمكن أن يعبر عن الرقي والتقدم، كما استخدمه آخرون لتحديد إدراك الفرد لمدى قدرة الخدمات المقدمة إليه لإشباع حاجاته الأساسية. ومن بيه هذه التعريفات:

إن مفهوم جودة الحياة يعد مفهوما نسبياً يختلف من شخص لآخر ، من الناحيتين النظرية والتطبيقية استنادا إلى المعايير التي يعتمدها الأفراد لتقويم الحياة ومتطلباتها، والتي غالبا ما تتأثر بعوامل كثيرة تتحكم في تحديد مقومات جودة الحياة، مثل القدرة على التفكير، واتخاذ القرارات، والقدرة على التحكم وإدارة الظروف المحيطة، والصحة الجسمية والنفسية والظروف الاقتصادية والاجتماعية، والمعتقدات الدينية، والقيم الثقافية والحضارية، التي يحدد من خلالها الأفراد الأشياء المهمة والأكثر أهمية، والتي تحقق سعادته في الحياة.(العادي كاظم كريدي: 2006)

كما أشار فرانك " : جودة الحياة بأنها حسن إمكانية توظيف إمكانيات الإنسان العقلية والإبداعية وإثراء وجدانه ليتسامى بعواطفه ومشاعره وقيمه الإنسانية وتكون المحصلة هي جودة الحياة وجودة المجتمع ويتم هذا من خلال الأسرة و المدرسة، والجامعة وبيئة العمل ومن خلال التركيز على ثلاث محاور هامة هي التعليم، والتثقيف، والتدريب، وكذلك يعرفها فرانك بأنها إدراك الفرد للعديد من الخبرات وبالمفهوم الواسع شعورا لفرد بالرضا مع وجود الضروريات في الحياة مثل :الغذاء والسكن وما يصاحب هذا الإحساس من شعور بالانجاز والسعادة. (شيخي مريم: 2013/2014.ص 73)

جودة الحياة الأسرية: بين جدلية الأصالة ومسايرة المعاصرة وأثرها على تربية الأبناء

كما قدم Schalok تحليل مفصل لمفهوم جودة الحياة على أساس انه مفهوم مكون

من ثمانية مجالات وهي (أمانة حرطاني وكرمية إزيدي: 2016. ص 38):

- ✓ السعادة الوجدانية: الرضا، مفهوم الذات، انخفاض الضغوط
- ✓ العلاقات الشخصية: التفاعلات، العلاقات، الإسناد.
- ✓ السعادة المادية: الحالة المادية، العمل، المسكن.
- ✓ النمو الشخصي: التعليم، الكفاءة الشخصية، الأداء.
- ✓ السعادة البدنية: الصحة، الأنشطة اليومية، وقت الفراغ.
- ✓ تقرير المصير: الاستقلالية، الأهداف، الاختبارات.
- ✓ الاندماج الاجتماعي: التكامل، الترابط الاجتماعي، الأدوار المجتمعية.
- ✓ الحقوق البشرية والقانونية: الحقوق الفردية، حقوق الجماعة، القانون والعمليات الواجبة.

3- الأسرة الجزائرية وجدلية التقليدي والمعاصر:

عرفت الأسرة الجزائرية تحولات عميقة من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والسلوكات العامة وغطت الممارسة الثقافية التي أصبحت مزيجاً من الموروث الثقافي والفكر التحرري، معنى ذلك أن هذا التطور والتحول " هو ضبط اجتماعي مزدوج باحترام التقاليد والتطلع للتحديث والروح التحررية". (مصطفى بو تفتنوش: 1984، ص 232)

وعليه أصبحت مظاهر الأسرة الجزائرية متعددة الرؤى فيها جزء من العادات والتقاليد وفي المقابل تبنت الفكر الغربي وطريقة عيشهم. هذا ما دفعنا إلى التطرق لبعض خصائصها ومميزاتها ومراحل تطورها ، فالأسرة الجزائرية أسرة بطريقية، الأب هو السلطة فيها وإذا وجد الجد فهو القائد الروحي، يستشار في جميع النواحي والأمور واليه يرجع الفصل. لكن هذا المفهوم تطور وأصبح الأمر في اتخاذ القرار يأخذ بشكل ديمقراطي

وأحيانا لا يؤخذ برأي الأب وإنما يستشار فقط من جانب الاحترام وتقدير مكانة الأب. ومن بعد البطريقة يأتي مفهوم الإكثاتية الذي هو امتداد للبطريقة، أي أن قرار العائلة بعد الأب يكون للابن ثم الحفيد الذكر والمرأة مرتبطة دائما بالذكر؛ ولكن الإكثاتية لم تبقى على حالها فالحراك الاجتماعي الجزائري أعطى للمرأة حرية أكبر وأصبحت تفرض مكانتها داخل الأسرة. كما تعد هذه الأخيرة خلية اجتماعية تقوم على تقسيم وتوزيع للأدوار يعكس مفاهيم وقيم اجتماعية وثقافية واقتصادية في ظل التحولات التي تعيشها الأسرة الجزائرية اليوم، فالأدوار الأسرية شهدت عدة تغيرات على مستوى التركيبة والعلاقات. وقد مثل عمل المرأة واقتحامها لميدان الشغل أحد العوامل الهامة التي أفضت إلى تطور دور المرأة داخل البيت وهو ما أدى إلى تغير أدوار الأزواج والأبناء نتيجة تفاعل هذه الظاهرة مع العوامل الاجتماعية والثقافية وغيرها ... بالإضافة إلى العامل التكنولوجي حيث ظهرت نماذج تكنولوجية جديدة تتخذ من المعلومات وتكنولوجيا الاتصال قاعدة لها، في الوقت الذي يصنع فيه المجتمع التكنولوجيا وفقا لاحتياجاته الأساسية وتلبية لرغبات مستخدمي هذه التكنولوجيا. تعتبر هذه الأخيرة هامة جدا نظرا لتأثيراتها المحتملة على الفرد والأسرة والمجتمع... ويرى جابر عوض السيد في هذا الصدد " التطور التكنولوجي يؤدي إلى تكوين أشكال جديدة للعلاقات الاجتماعية وبالتالي أنماط ثقافية جديدة" كما يرى أيضا " التكنولوجيا وإن كانت ذات طابع مادي إلا أن لها طابعها الاجتماعي، فالتكنولوجيا ليست غاية في حد ذاتها بل هي أداة لغايات اجتماعية عامة ملزمة و إن للعامل التكنولوجي وظيفة اجتماعية". (جابر عوض السيد: 1996. ص 233)

واستنادا إلى ما سبق التكنولوجيا ساهمت بشكل كبير في تغير توجهات ومظاهر الأسرة الجزائرية وذلك من خلال نقل ثقافة الآخر إلى داخل الأسرة والانفتاح عليها ومحاولة العيش على طريقته من اجل تحقيق نوع من التقدم والعصرية. وما بلغه الإنسان اليوم من مقومات الرقي والتحضر تعكس بلا شك مستوى معين من جودة الحياة.

4- البعد الاجتماعي وجودة الحياة الأسرية:

4-1- التماسك الأسري:

يعد التماسك الأسري مؤشر من مؤشرات جودة الحياة الأسرية. وعليه تسعى الأسرة للمحافظة على توازنها واستقرارها بدعم هذا التماسك الأسري عن طريق تعميق الوعي لدى أفراد الأسرة بأبعاد تنظيم الحياة الأسرية وترسيخ قيم المساواة والشراكة والاتصال بين أفرادها حيث ترى **نادية بوشلاق** أن "الاتصال الفعال احد المؤشرات المهمة للأسرة القوية و الصحية. فهو احد اللبنيات الأساسية للعلاقات الأسرية. الاتصال داخل الأسرة يمكن أفراد الأسرة من التعبير عن حاجاتهم، ورغباتهم، وانشغالهم لبعضهم البعض. فالاتصال المفتوح يخلق جوا يسمح لأفراد الأسرة التعبير عن اختلافاتهم، و أيضا عن حبهم، و إعجابهم ببعضهم البعض" (نادية بوشلاق: 2013).

كما يساهم الاتصال في حسم الخلافات الزوجية أو الخلافات بين الأولياء والأبناء أو بين الأبناء فيما بينهم أو العائلات المتصاهرة. للحفاظ على ترابط الأسرة والحيلولة دون تفكك روابطها ودعم الحوار العائلي مع الحرص على تسوية الخلافات أو تذليلها بالحسنى.

وفي هذا الصدد قام الباحث **بن عيسى محمد المهدي وآخرون** بدراسة تحت عنوان **الأسرة الجزائرية في ظل إعادة إنتاج مقومات الجودة الأسرية** حيث ركزوا في هذه الدراسة على بعد التماسك الأسري واعتبروه من أهم مقومات جودة الحياة الأسرية. وتوصلوا إلى النتائج الآتية: (بن عيسى محمد المهدي وآخرون: 2013)

1- إن من أهم أسباب عدم تماسك الأسرة عدم الاتفاق على منهج واحد في تربية الأولاد وتسيير شؤون الحياة عائق داخلي.

2- إن الاحترام مظهر قوي للتماسك الأسري، يحمل معاني القبول والتقدير والأمانة وله الأثر الكبير في زرع الاستقرار بين أفراد الأسرة.

3- الحوار والتشاور من أهم ميكانيزمات التماسك الأسري فهو مدخل للتفاهم والتعاون على تخطي

مشكلات الحياة الأسرية ومن ثم تماسكها واستمرارها، والوعي بذلك أمر ضروري، فتعلم الحوار وممارسته في الحياة الأسرية من أهم مظاهر الاستقرار والتماسك الأسري.

4- إن النموذج المثالي للأسرة يتوقف على النوع الديناميكي للنموذج الثقافي للأسرة الذي يمكنها من مجابهة العوائق والمخاطر.

واستنادا إلى ما سبق تكمن أهمية التماسك الأسري ودوره في بناء المجتمعات والحضارات الإنسانية وتأثيره البالغ في تشكيل الهوية الجماعية لأعضاء الأسرة، كما تتضح أهمية التماسك على مستوى الأزواج ما يحققه من السكينة والمودة والرحمة، وبما يتيح من فرصة لتوجيه الأبناء ومراقبتهم وتقويم أخطائهم، أما على مستوى المجتمع، فإن التماسك يحفظ للمجتمع هويته وقوته ووحدته ويدفعه للمزيد من النمو والتطور، فالتماسك الأسري شرط أساسي لإيجاد مجتمع آمن، منسجم ومتكامل.

4-2- العلاقات الأسرية:

إن التفاعل مع الآخرين في المجتمع نابع من الطبيعة البشرية ويظهر ذلك من خلال حاجة الفرد الملحة إلى المجتمع والتواصل مع أفراد من خلال الروابط الاجتماعية المتمثلة في علاقاته مع الآخرين التي تنطوي على حب التجمع والالتقاء بالآخرين والرغبة في التفاعل والميل للعيش معهم وهذا يؤكد ما تنطوي عليه الطبيعة البشرية من الألفة والاستئناس ببني البشر وأن الحاجات التي تولدها الحياة الاجتماعية لدى الأفراد مثل حاجتهم للشعور بالانتماء والاتصال بالآخرين حصاد التفاعل بين الفرد والمحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه وبالتالي فإن الطبيعة الإنسانية تتطلب وجود المحيط الاجتماعي الذي يوفر للفرد شبكة من العلاقات تساعده على مواصلة الحياة. فكلما كانت العلاقات الاجتماعية بين أفراد جماعة معينة قوية كانت أكثر تماسكاً من خلال

جودة الحياة الأسرية: بين جدلية الأصالة ومسايرة المعاصرة وأثرها على تربية الأبناء

التبادل الكفاء لشبكة العلاقات بين الأفراد، والعلاقة بين أي عضوين تتأثر بالعلاقات بين الأعضاء الآخرين.

حيث تعرف العلاقات الاجتماعية على "أنها الروابط و الأوتار المتبادلة بين أفراد المجتمع والتي تنشأ نتيجة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع وتعتبر العلاقات الاجتماعية التي تتبلور بين الأفراد في مجتمع ما بناءا على تفاعلهم مع بعضهم البعض، بغض النظر عن كونها علاقات ايجابية أو سلبية وهي من أهم ضرورات الحياة.

وقد ذهب ماكس فيبر إلى أن مصطلح العلاقات الاجتماعية يستخدم غالبا لكي يشير إلى الموقف الذي من خلاله يدخل شخصان أو أكثر في سلوك معين واضعا كل منهم في اعتباره سلوك الآخر بحيث يتوجه سلوكه على هذا الأساس وعلى ذلك تشمل العلاقات الاجتماعية إمكانية تحديد سلوك الأفراد بطرق خاصة وتعتبر خاصية عامة للعلاقات فربما يختلف محتوى العلاقات على أساس الصراع والعداوة أو التجاذب والصدقة. (غريب محمد سيد احمد: 2003. ص 33. 34)

ومن أهم هذه العلاقات الاجتماعية العلاقات الأسرية التي هي شبكة العلاقات الإنسانية والاجتماعية التي تربط بين أفراد الأسرة، وعلى رأس هذه العلاقات طبيعة العلاقة بين الوالدين، ثم طبيعة علاقة كل منهما بكل فرد من أفراد الأسرة الآخرين، وتوقعاته منه وفهمه لالتزاماته نحوه (هبة الله على محمود انجي سعيد الطوخي: 2012)، فالأسرة هي التي تمد الأبناء بخبرات الحياة، وباعتبارها مجتمع مصغر يتميز بالروابط الوثيقة والحوافز المباشرة لتكوين العلاقات المتبادلة. وبناءاً على هذا تشكل الخبرات الأسرية إلى حد كبير البناء النفسي للفرد بأنماطه واستجاباته وسلوكه في العلاقات الاجتماعية المستقبلية، وأي صعوبة في النمو يمكن إرجاعها في حالات كثيرة لنقص التفاعل الأسري السوي.

لذلك اتفق الباحثون على أن العلاقة بين الزوجين أهم نوع في العلاقات الأسرية، لما لها من تأثير بالغ في الأبناء، حيث أن العلاقة الزوجية السليمة تشكل المحيط العائلي السليم

الذي يترتب فيه الأبناء، فالفاعل السليبي بين الوالدين يؤدي إلى فشل الدور الوظيفي للوالدين والعكس صحيح. فلا شك أن الزوجان اللذان يتبادلان فيما بينهما أساليب معاملة زوجية سوية. فإنهما سيتبعان أساليب معاملة والدية صحيحة سوية. (هبة الله على محمود انجي سعيد الطوخي: 2012)

واستنادا إلى ذلك الإدراك والتفاهم والتوافق والقبول والرضا والقناعة، لابد أن تتوافر بين الزوجين لتصل بهما وبالأسرة إلى التوافق الأسري، ولما كان الوالدان يقومون في الأسرة بدور القيادة علاوة على دورهما كأباء وأمهات يضربان للأبناء مثلاً يحتذي به بطريقة شعورية أو لا شعورية، فإن دور الزوجين نحو كل منهما والعلاقات الإنسانية بينهما من أهم العوامل التي تؤثر في دورهما نحو الأبناء، كما أنها تؤثر تأثيراً كبيراً على المناخ السائد في محيط الأسرة (نجلاء محمد إسماعيل المسلمي: 2006. ص 73). حيث أن الأبناء يتأثروا بالجو النفسي السائد في الأسرة وبالعلاقات القائمة بين الأب والأم، كما أن علاقتهما تمثل أساس الجو العاطفي الذي ينشأ فيه الطفل ويجد فيه توافقه الأول مع الحياة .

ويعتبر التفاعل الإيجابي بين الزوجين وأفراد الأسرة المبني على المحبة وإشباع الحاجات الأساسية والثانوية أمراً ضرورياً لتوفير الاستقرار والتماسك داخل الأسرة عن طريق تعزيز العلاقات بين أفرادها. ويتم هذا التفاعل والتواصل في مختلف مجالات الحياة الروحية والوجدانية والاجتماعية والفكرية والترفيهية. وتختلف طبيعة هذا التفاعل من أسرة لأسرة حسب طبيعة اتخاذ القرارات في الأسرة ومدي مشاركة أفراد الأسرة في ذلك وأسلوب معاملة الآباء لأبنائهم. أما التنشئة في إطار تصدع أسرى وعلاقات أسرية متوترة وخلافات زوجية تخلق شخصيات غير سوية تعاني من القلق وانعدام الأمن واللااستقرار بين أفراد الأسرة مما ينعكس بالسلب على مستوى جودة الحياة الأسرية.

كما يجب الإشارة إلى أن الترابط الأسري بين الشباب وأسره يقل بكثرة استخدام الشباب لوسائل التكنولوجيا الحديثة، وهذه الوسائل التكنولوجية الحديثة لها انعكاسات

جودة الحياة الأسرية: بين جدلية الأصالة ومسايرة المعاصرة وأثرها على تربية الأبناء

سلبية على تفكيرهم وسلوكهم الاجتماعي بين بعضهم البعض وبين أفراد أسرته . فارتفاع مستوى طموحات الأبناء المادية والاستهلاكية وتقليدهم لأقرانهم، يمثل عبء وخطورة كبيرة على الأسرة، فعجز الآباء في تحقيق طموحات الأبناء المادية وتوفير متطلباتهم يؤدي إلى كثير من المشاحنات والخلافات الأسرية بين الزوجين وبين الآباء والأبناء مما ينعكس على النظام الأسري، ويجعل الأسرة كغرباء يجمعهم مسكن واحد خال من الدفء العاطفية . حيث اثر العامل التكنولوجي في صيرورة العلاقات الاجتماعية وخاصة الأسرية. فهذه التكنولوجيا سخرت وفقا لتلبية احتياجات الفرد وإشباع رغباته فهي ليست مجرد أدوات ووسائل لتسهيل الحياة بل هي كذلك منتجات ثقافية لا تنفصل عن السياق الثقافي والقيمي الذي أنتجها، فهي تحمل في طياتها قيما ومعاني ثقافية من شأنها أن تغير نمط حياة مستخدميها، فهي بذلك تتجاوز الثقافة المادية وتتغلغل في كافة نظم المجتمع وتتداخل فيما بينها مما يجعلها نسقا واحدا؛ إذ أن العناصر التكنولوجية تنتشر باستمرار وبسهولة من مجتمع لآخر. وأكد توني شيراتو وجين ويب "أن الأنشطة الاجتماعية والثقافية للإنسان بمختلف مناطق العالم قد تغيرت بفعل وتأثير التطورات تكنولوجيا الاتصال خاصة المرتبطة باستخدام الرقمنة، كما تؤثر هذه التكنولوجيا في أسلوب حياة الناس وتفكيرهم". (سلوى السيد عبد القادر. مُجد عباس إبراهيم: 2010. ص 113)

ونظرا لانتشار الواسع للوسائل التكنولوجية بين جميع شرائح المجتمع وخاصة الشباب باعتبارهم الأكثر ولعا بالتكنولوجيا وكل مستجديتها؛ يظهر أثر التكنولوجيا على العلاقات الأسرية بشكل جلي، حيث أصبح الفرد يتفاعل مع بيئة افتراضية أدت إلى بناء واقع موازي للعلاقات الطبيعية يشترك أعضاؤها في الكثير من الروابط والاهتمامات والأنشطة الاجتماعية المشتركة. فهذه البيئة تتقاسم أنماط معينة للتفاعل وأحجاما صغيرة أو كبيرة من المشاركين وفترات زمنية غير مقيدة، وعليه أدت تكنولوجيا الاتصال إلى تغيير في كيفية تشكيل النسيج الاجتماعي وبناء العلاقات الأسرية، كما تغيرت المعايير التي تقاس على أساسها متانة هذه العلاقات وإمكانية استمرارها.

والأسر العربية عامة والأسر الجزائرية خاصة ليس بمعزل عن هذه التغيرات والتأثيرات، حيث أصبح أفراد الأسرة يعيشون في ظل العصر الرقمي حالة غربة واغتراب عن واقعهم نتيجة لتأثرهم بما تنقله الثورة المعلوماتية لهم من ثقافات تقبلهم من حيث الذوق ، والملبس ، والعادات ، والتقاليد ، وفقاً لقوالب غربية ، أي تأطير عقل الإنسان ومحاولة طمس ثقافته المحلية وإضعاف مخيلته عن طريق تقديم نماذج جديدة جذابة ، وإيقاعه في استلاب عقلي ، فكري ، معرفي وعقائدي في محاولة حثيثة للوصول إلى مجتمع عالمي متشابه الأفكار والعقائد والميول والقيم والاتجاهات والسلوك مفروضة عليه ، وهذا يمثل تحدي وضرب للموروث الثقافي المحلي . (جعفر حسن جاسم: 2012، ص275)

وعليه يتعرض الأبناء لضغوطات وتحديات بفعل الثقافة الاصلية وتصادمها بالثقافة الوافدة، وما يفرزه هذا التصادم من هوة ثقافية بين القديم والجديد وتأثيراته على البناء الاجتماعي . وهذه المعطيات تمثل تحديات ورهانات تواجه الأسرة الجزائرية.... من اجل الحفاظ على مقومات هويتها وتأصيلها في نفوس أبنائها لمواجهة الغزو الفكري. ولتحقيق ذلك يجب عليها تبني سياسة فكرية واعية ذات أهداف مبنية على مرتكزات الثقافة الجزائرية تتماشى مع متغيرات الوضع الراهن دون الانحلال والاضمحلال في الآخر. بمعنى على الأسرة الجزائرية إدراك الواقع الحقيقي والمعاش لأبنائها والوقوف عند ما هو ايجابي للفرد والمجتمع . كما يجب الوقوف والتغلغل في عمق الظواهر والسلوكات التي تعود بالانعكاسات السلبية أو المتنافية مع المنظومة القيمة والأخلاقية الجزائرية التي تهدد استقرار البناء الاجتماعي وتدخله في صراع بين الأصالة والمعاصرة، والشعور بالاغتراب وفقدان الهوية والخصوصية الجزائرية؛ مع محاولة تغييره نحو الأحسن ومراعاة تطلع هذه الفئة إلى التطور والعصرنة بما يتماشى مع الركب العالمي.

5- الخاتمة:

من خلال الطرح السابق، يمكن القول بأنّ الأسرة تعد أهم وحدة بنائية في المجتمع فهي العماد الذي يتم من خلاله تحقيق توازن المجتمع، هذه الأخيرة لها خصوصيات التي تميزها عن باق الأسر في العالم، وقد تأثرت الأسرة الجزائرية بالتحولات العميقة التي شهدها العالم على جميع الأصعدة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية ...، مما أدى إلى أخذ أشكال جديدة للأسرة الجزائرية مروراً من الشكل التقليدي إلى الشكل العصري، وهذا ما أدى إلى تحول في المناخ الأسري الذي أصبح مزيج من التقليدي والعصري. ما جعل الأسرة أمام تحديات كبيرة في مواكبة هذه التحولات من أجل تحقيق جودة الحياة الأسرية والحفاظ على بنيتها والقيام بوظائفها على أحسن وجه، وذلك من خلال تمسكها بالمرور الثقافي وتنقله بين الأجيال وإحداث نوع من التوازن بين هذا المرور الثقافي والمستجدات التي مست كل جوانب الحياة. وعليه البعد الاجتماعي له اثر بالغ في تحقيق مستوى معين من جودة الحياة الأسرية لأفراد الأسرة، ومدى تحقيقه لهذه الجودة وإشباعه لرغبتهم واحتياجاتهم يؤثر على مجرى حياتهم وعلى سعادتهم المادية والمعنوية ودرجة إحساسهم بالرضا عن الحياة بشكل عام وعلى مستوى قدرتهم على التفاعل على المستوى الشخصي والاجتماعي وكذلك على إيجاد معنى لحياتهم، وفي الأخير تكمن أهمية جودة الحياة الأسرية في بناء الإنسان وتركز على مساعدة الأفراد على توظيف إمكاناتهم وإثراء وجدانهم وتدعيمهم قيمهم الإيجابية فتكون محصلة جودة الحياة الأسرية جودة المجتمع ككل في ظل خصوصيته الثقافية امتزاجاً مع مساهمته للعالم الخارجي والتعايش مع المتغيرات والتطورات التي يشهدها العالم .

6- قائمة المراجع:

- 1- أمينة حرطاني وكرمية إزيدي: علاقة مشكلات السلوكية عند الأبناء بجودة الحياة لدى الأمهات، مجلة العلوم النفسية والتربوية، الجزائر، 2016.
- 2- بن عيسى محمد المهدي وآخرون: الأسرة الجزائرية في ظل إعادة إنتاج مقومات جودة الحياة الأسرية، الملتقى الوطني الثاني حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة، 2013، جامعة ورقلة.
- 3- جابر عوض السيد: التكنولوجيا والعلاقات الاجتماعية. دار المعرفة الجامعية. مصر. بدون طبعة. 1996.
- 4- جعفر حسن جاسم، الأسرة العربية وتحديات العصر الرقمي، العدد الحادي والخمسون. مجلة الفتح. أيلول لسنة 2012.
- 5- حسين رشوان: تطور النظم الاجتماعية وأثرها علي الفرد والمجتمع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر. 1993.
- 6- حليم بركات: المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط6، 1998.
- 7- سلوى السيد عبد القادر. محمد عباس إبراهيم. الأنثروبولوجيا والقيم. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. بدون طبعة. 2010.

جودة الحياة الأسرية: بين جدلية الأصالة ومسايرة المعاصرة وأثرها على تربية الأبناء

- 8- العادلي كاظم كريدي: مدى إحساس طلبة كلية التربية بجودة الحياة وعلاقة ذلك ببعض المتغيرات، وقائع ندوة علم النفس وجودة الحياة، جامعة -السلطان قابوس - سلطنة عمان. 2006 .
- 9- غريب مُحمَّد سيد احمد. علم الاجتماع ودراسة المجتمع. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. بدون طبعة. 2003.
- 10- مريم شيخي: طبيعة العمل وعلاقتها بجودة الحياة دراسة ميدانية في ظل بعض المتغيرات مذكرة لنيل شهادة ماجستير كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية جامعة تلمسان 2013/2014.
- 11- مصطفى بو تفتنوش: العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة، تر: دميري احمد، الجزائر ديوان مطبوعات الجزائر. 1984.
- 12- نجلاء مُحمَّد إسماعيل المسلمي: وعي الوالدين بأدوارهما اتجاه الأسرة وعلاقته بالمناخ الأسري، "رسالة دكتوراه، كلية الاقتصاد المنزلي، جامعة المنوفية. 2006.
- 13- نادية بوشاللق: الاتصال الأسري ودوره في تفعيل العلاقات داخل الأسرة، الملتقى الوطني الثاني حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة، 2013، جامعة ورقلة.

14- هبة الله على محمود انجي سعيد الطوخي العلاقات الأسرية في الأسرة السعودية

وعلاقتها بتصور الفتيات للأدوار الزوجية ، كلية الاقتصاد المنزلي، جامعة

المنوفية، المملكة العربية السعودية.